كتاب سيكولوجية الجماهير

لمؤلفه الفرنسي غوستاف لوبون (ترجمة هاشم صالح)

تعريف بالكتاب والكاتب وإشارة إلى بعض أهم الأفكار التي وردت فيه

وشرح للكلمات الغريبة في الكتاب... من إعداد المهندس محمد أبو النصر.

الصفحة	المحتوى
٢	تعريف بالكتاب والطبعة التي بين أيدينا.
٣-٤	تعريف بمؤلف الكتاب "غوستاف لوبون".
٥	موجز وتمهيد المترجم.
٦- ٣٤	ملخص أهم ما ورد في كتاب سيكولوجية الجماهير.
٣٥ - ٣٦	فهرس لبعض الأفكار المهمة التي وردت في الكتاب.
٣٧ - ٤٠	تفسير الكلمات التي قد تصعب على غير المختصين.

الآراء الواردة تعبر عن أفكار مؤلف الكتاب

وتلخيصنا لها دون تحوير لا يعني بالضرورة موافقتنا على ما جاء فيها

www.do3atalsham.com

تعريف بالكتاب والكاتب:

ينتمي الكتاب إلى قائمة كتب علم النفس الفرع الاجتماعي بالتحديد، وهو يحتوي على نظريات الكاتب وأفكاره حول نفسية الشعوب والجماعات العِرقية وسلوكها أو كما يُطلق عليها مصطلح "الجماهير"، وقد جاء الكتاب مقسمًا –بعد التمهيد والمقدمة– إلى ثلاثة كتب أو أجزاء داخلية يحتوي كل منها على مجموعة من الفصول، ويقع في حدود (٢٢٠) صفحة، قدّم المؤلف من خلالها قراءته للحركة الجماهيرية في المجتمعات المختلفة بأسلوب نفسيّ مبينًا خصائصها ودورها في العديد من الأحداث التاريخية، كما وضّح العلاقة بين الممارسات التي تصدر عن تلك الجماهير والعوامل التي تؤثر عليها.

الكتاب كان قد صدر للمرة الأولى عام (١٨٩٥م). والأفكار المعروضة فيه والتي كانت تبدو آنذاك غريبة لا معقولة أصبحت اليوم كلاسيكية مقبولة من قبل الرأي العام. وقد ترجم كتاب سيكولوجيا الجماهير إلى العديد من اللغات : الإنكليزية، والإسبانية والروسية، والسويدية، والتشيكية، والبولونية، والتركية، واليابانية، إلخ ...

وفي الحقيقة فإنّ مترجم نسخة الكتاب التي بين أيدينا "هاشم صالح" (دار الساقي – ١٩٩١) قد قدَّم بمقدمة طويلة من ثلاثين صفحة لخصت أهم أفكار الكتاب وعرَّفت بالكاتب وبالفترة الزمنية التي عاشها، إلا أن المترجم استخدم في مقدمته الكثير من المصطلحات المستخدمة في كتب علم النفس مما قد يوهم القارئ بصعوبة الكتاب، مع أن الأمر ليس بهذه الصورة...

فالكتاب تميز بالأسلوب المبسّط والواضح لعرض الأفكار والنظريات المختلفة، كما تتسم الأفكار الواردة في هذا الكتاب بالعقلانية والمنطق. والطرح العالمي؛ إذ يُشار إلى أنّ أفكاره يمكن أن تناسب مختلف الشعوب والأعراق والخلفيات الأيدولوجية. وقد تميزت طريقة طرح الأفكار بالتكامل والتماسك بين الأجزاء والوحدات المختلفة لهذا الكتاب... الذي حاول كاتبه الاستدلال على أفكاره بالوقائع المثبتة تاريخيا لكيلا يكون محتواه مجرد وجهة نظر لا دليل عليه...

ولعل من يعيش زماننا، زمن فورة وسائل التواصل الاجتماعي، ومن يعاين بنفسه ويعيش في الدول حاضرة ثورات الربيع العربي، يعرف دقة وعمق نظرة غوستاف لوبون وقوة طرحه.

غوستاف لوبون:

يُعد الطبيب والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون مؤسس علم نفسية الجماهير كما يعد واحدًا من أشهر المؤرخين الأجانب الذين اهتموا بدراسة الحضارات الشرقية والعربية والإسلامية.

ولد في مقاطعة نوجيه لوروترو، بفرنسا عام ١٨٤١م. درس الطب، وقام بجولة في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا. اهتم بالطب النفسي وأنتج فيه مجموعة من الأبحاث المؤثرة عن سلوك الجماعة، والثقافة الشعبية، ووسائل التأثير في الجموع، مما جعل من أبحاثه مرجعًا أساسيًّا في علم النفس، ولدى الباحثين في وسائل الإعلام في النصف الأول من القرن العشرين حيث بلغ انتشار نظرياته أوجها، وراح العلم الجديد "علم نفس الجماهير" يجذب النخب الديموقراطية بقوة.. ما يؤكد خوفها من الجماهير وبحثها الدائم عن القواعد التي تساعد على التحكم بها.

كما أسهم لوبون في الجدل الدائر حول المادة والطاقة، وألف كتابه «تطور المواد» الذي حظي بشعبية كبيرة في فرنسا. وحقق نجاحًا كبيرًا مع كتابه «سيكولوجية الجماهير»، ما منحه سمعة جيدة في الأوساط العلمية، اكتملت مع كتابه الأكثر مبيعًا «الجماهير: دراسة في العقل الجمعي»، وجعل صالونه من أشهر الصالونات الثقافية التي تقام أسبوعيًّا، لتحضره شخصيات المجتمع المرموقة مثل: «بول فالري»، و«هنري برغسون»، و«هنري بوانكاريه»... وكذلك زاره في بيته الرؤساء والمسؤولون ليتلقوا نصائحه منهم الرئيس الفرنسي «ريمون بوانكاريه»، والرئيس الأمريكي «تيودور روزفلت»... فلوبون كان يرى نفسه، ويراه الكثيرون، ميكافيللي العصر الجديد، عصر الجماهير، وقد ذكر في كتابه علم النفس السياسي ما نصّه: "إن معظم القواعد والقوانين الخاصة بحكم البشر وقيادتهم والتي استخلصها ميكافيللي لم تعد صالحة منذ زمن طويل".

ومع ذلك فإن تراث لوبون في مرحلة مهمة تعرض للإهمال من علماء الاجتماع والتراث الفرنسي المعاصر له، وذلك لسببين رئيسيين: الأول أن معظم الأحزاب السياسية اليمينية واليسارية تستخدم وصفاته ولا تريد أن تعترف بذلك لكيلا تفشل خطتها في التأثير... والسبب الثاني هو تبني نظرياته من الحركة الفاشية في أوروبا، فمن سوء حظ لوبون أن موسوليني وهتلر كانا من قُرائه، ورغم أنه كان في كل كتاباته يدين الديكتاتورية ويرى أن الديموقراطية بكل عيوبها أفضل منها، ولكنهم ألصقوا به تهمة "الفاشية" وكما يقول لوبون نفسُه "الإشاعة أقوى من الحقيقة".

عُرف بأنه أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، فلم يَسِر على نهج مؤرخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي. لكن لوبون الذي ارتحل في العالم الإسلامي وله فيه مباحث اجتماعية، أقرَّ أن المسلمين هم مَن مدَّنوا أوروبا، فرأى أن يبعث عصر العرب الذهبي من مرقده، وأن يُبديه للعالم في صورته الحقيقية؛ فألف عام ١٨٨٤م كتاب «حضارة العرب» جامعًا لعناصر الحضارة العربية وتأثيرها في العالم، وبحث في أسباب عظمتها وانحطاطها وقدمها للعالم تقديم المَدين الذي يَدين بالفضل للدائن. توفي في ولاية مارنيه لاكوكيه، بفرنسا ١٩٣١م.

عملي في تلخيص الكتاب

- في الورقات التالية لخصت أهم الأفكار التي لفتت نظري في كل مباحث الكتاب.
- وزودتها بما يشبه الخرائط الذهنية التي جعلت فيها ملخصا موجزا لتفريعات كتب الكتاب وفصوله، فقد جاء الكتاب مقسما إلى ثلاثة كتب كل منها مقسم إلى عدة فصول...
- وقد أضفت بعدها ملحقين الأول كنت قد فهرست فيه سابقا مواضع بعض أهم الأفكار التي ربما لا يشير فهرس الكتاب إلى موقعها...
- وأما الملحق الثاني فهو جدول لشرح بعض الكلمات الغريبة التي ربما تشكل على القارئ غير المختص أو قليل المعرفة.
- ملاحظة: حواشي الكتاب وضعها من صفَّ الكتاب منسقةً مُجمَلةً آخِر الكتاب، وليس أسفل الصفحات، وهي مهمة جدا، ستحتاج الرجوع إليها أثناء القراءة.
- ومن أراد الاطلاع والتصفح السريع للكتاب فإن المقدمة، وكذلك فهرس الكتاب التفصيلي يمثلان ملخصا جيدا لأفكار الكتاب..

موجز وتمهيد

عندما ظهرت ظاهرة الجماهير على المسرح الأوروبي كحقيقة قائمة وقوية هددت لنظام الاجتماعي، توجه الباحثون والمفكرون لدراستها، وقد تبلورت ثلاثة أجوبة رئيسية لديهم: (الجماهير تراكم أشخاص هامشيين – الجماهير مجنونة بطبعها – الجماهير مجرمة)..

تكمن أهمية لوبون في أنه رفض هذه الأجوبة الثلاثة واقترح خطا جديدا لدراسة ظاهرة الجماهير، كان يتلخص في فكرة أن "الجماهير هي انصهار أفراد في روح وعاطفة مشتركة تقضي على التمايزات الشخصية وتخفض مستوى الملكات العقلية... الجماهير ليست مجرمة أو فاضلة سلفا، فقد تكون هذه أو تلك أو كلتاهما معا".. وبناء على ما وضحه يمكن أن نخلص إلى خمسة مبادئ مهمة:

١. الجمهور النفسي يختلف عن الشخص العادي ويمتلك وحدة ذهنية.
٢. الفرد يتحرك بشكل واع مقصود أما الجمهور فلا واع...
٣. الجماهير محافظة بطبعها والماضي أقوى عندها من الحاضر لذا تعيد ما دمرته
٤. أيا يكن مستوى الجماهير فهي بحاجة لقائد محرك لا يحركها بالعقل انما يفرض نفسه بالقوة ويقودها بالعواطف... يتجسد فيه الإيمان العميق بما يدعو إليه، وينعكس ذلك منه إقداما وقناعةً وإرادة قوية ونموذجا ملهما للتضحية وهيبةً لا تناقش.
٥. الدعاية المؤثرة في الجماهير ذات أساس لا عقلاني يتمثل بالعقائد الإيمانية الجماعية، الدعاية التي تؤثر على الجماهير تستخدم لغة الصور الموحية والمجازية، ولغة الشعارات البسيطة والقاطعة التي تفرض نفسها دون برهان.. وأكبر خطا يرتكبه القائد أن يحاول إقناع الجماهير بالوسائل العقلانية التي توجه عادة للأفراد المعزولين.

هذه الأفكار وغيرها وضحها وشرحها لوبون في كتابه هذا وفيما يلي ملخص لأهم ما ورد، ينفع النخبوي المثقف ولا يغني المختص المسؤول عن قراءة كامل الكتاب، بل دراسته بعمق.

سيكولوجية الجماهير

تمهيد ومقدمة: عصر الجماهير

٤١- عندما يحدث أن يتجمهر مؤقتاً عدد كبير من الأفراد بتأثير من عوامل عديدة، فإن الملاحظة العيانية تبين لنا بأنه تنضاف إلى خصائصهم السلفية الموروثة مجموعة أخرى من الخصائص الجديدة مختلفة أحياناً إلى حد كبير عن خصائص العرق الذي ينتسبون إليه. **وتجمهرهم يشكل روحاً جماعية جبارة، ولكن مؤقتة.**

٤٣- إن الفترة الحالية تشكل إحدى اللحظات الحرجة التي نشهد فيها الفكر البشري وهو في طور التحول والتبدل... وهناك عاملان أساسيان يشكلان الأساس الجذري لهذا التحول هما: أولاً: تدمير العقائد الدينية والسياسية والاجتماعية التي اشتقت منها كل عناصر حضارتنا. وأما الثاني: فهو خلق الشروط الجديدة كلياً بالنسبة للوجود والفكر. وقد تولدت عن الاكتشافات الحديثة للعلوم والصناعة. [الكتاب صدر سنة ١٨٩٥م والكلام ينطبق الى اليوم على زماننا!]

٤٤- على أية أفكار أساسية سوف تنهض المجتمعات المقبلة التي ستخلف مجتمعنا؟ وإن كنا نجهل ذلك، ولكن نعلم أنها ينبغي عليها أن تحسب الحساب فيما يخص بنيتها وتنظيمها لقوة جديدة تمثل آخر سيادة تظهر في العصر الحديث : إنها قوة الجماهير وجبروتها... هذه القوة الجديدة هي وحدها التي نهضت وترسخت. ويبدو أنها سوف تمتص كل الأخريات قريباً... وفي الوقت الذي أخذت فيه الأعمدة القديمة للمجتمعات تتساقط الواحد بعد الآخر، فإننا نجد أن **نضال الجماهير هو القوة الوحيدة التي لا يستطيع أن يهددها أي شيء. وهي القوة الوحيدة التي تتزايد هيبتها وجاذبيتها باستمرار. إن العصر الذي ندخل فيه الآن هو بالفعل عصر الجماهير.**

٤٥- إن دخول الطبقات الشعبية في الحياة السياسية وتحولها التدريجي إلى طبقات قائدة يمثل أحد الخصائص الأكثر بروزاً لعصرنا، عصر التحول... **إن الجماهير غير ميالة كثيراً للتأمل، وغير مؤهلة للمحاكمة العقلية. ولكنها مؤهلة جدا للانخراط في الممارسة والعمل والتنظيم الحالي يجعل قوتها ضخمة جداً... القوة الطغيانية والمتسلطة التي لا تقبل أي مناقشة أو اعتراض.** وهكذا نجد أن الحقوق الإلهية للجماهير قد أخذت تحل محل القانون الإلهي للملوك.

٤٧- كان تدمير الحضـارات العتيقة قد مثل حتى هذه اللحظة الدور الأكبر الذي تلعبه الجماهير **والتاريخ يعلمنا أنه عندما تفقد القوى الأخلاقية التي تشـــكل هيكل المجتمع زمام المبادرة من يدها، فإن الانحلال النهائي يتم عادة على يد هذه الكثرة اللاواعية والعنيفة** التي تدعى، عن حق بالبرابرة. وقد كانت الحضـــارات قد بنيت ووجهت حتى الآن من قبل أرسـتقراطية مثقفة قليلة العدد، ولم تبن أبداً من قبل الجماهير. فهذه الأخيرة لا تسـتخدم قوتها إلا في الهدم والتدمير. كما أن هيمنتها تمثل دائماً مرحلة من مراحل الفوضـــى . فالحضـــارة – أية حضـــارة – تتطلب قواعد ثابتة، ونظاماً محدداً، والمرور من مرحلة الفطرة إلى مرحلة العقل، والقدرة على اســـتشـــراف المســـتقبل، ومســـتوى عالياً من الثقافة . وكل هذه العوامل غير متوافرة لدى الجماهير المتروكة لذاتها.

٤٨- في الواقع سادة العالم ومؤسسي الأديان أو الامبراطوريات ورسل كل العقائد ورجالات الدول العظام وعلى مستوى أقل زعماء الفئات البشرية الصغيرة، كلهم كانوا علماء نفس على غير وعي منهم . وكانوا يعرفون روح الجماهير بشـكل فطري، وفي الغالب بشـكل دقيق وموثوق جداً. وبما أنهم يعرفونها جيداً ويعرفون كيف يتعاملون معها فإنهم قد أصبحوا أسيادها..

إن معرفة نفسية الجماهير تشكل المصدر الأساسي لرجل الدولة الذي يريد ألا يُحكم كلياً من قبلها، ولا أقول يحكمها لأن ذلك قد أصبح اليوم صعبا جدا.

٤٩- **لا يمكن للقواعد المشـــتقة من العدالة النظرية الصـــرفة أن تقود الجماهير. وحدها الانطباعات التي يمكن توليدها في روحها يمكنها أن تجذبها.** نضـــرب على ذلك المثل التالي: إذا ما أراد مشرع ما أن يفرض ضريبة جديدة، فهل ينبغي عليه أن يختار الضريبة الأكثر عدالة نظرياً؟ بالتأكيد لا. فالضـريبة الأكثر ظلماً يمكنها أن تكون الأفضـل عملياً بالنسـبة للجماهير إذا كانت الأقل مرئية والأقل ثقلاً من حيث المظهر... فبما أنها موزعة يوميا على مواد الاســـتهلاك بمبالغ زهيدة جداً، فإنها لا تزعج عادات الجماهير.

١- الكتاب الأول روح الجماهير

١-١ الفصل الأول: الخصائص العامة للجماهير والقانون النفسي لوحدتها الذهنية

٥٣- يمكن لتكتل ما من البشر أن يمتلك خصائص جديدة مختلفة جداً عن خصائص كل فرد يشكله. فعندئذ تنطمس الشخصية الواعية للفرد، وتصبح عواطف وأفكار الوحدات المصغرة المشكلة للجمهور موجهة في نفس الاتجاه (بغض النظر عن الذكاء الفردي أو النفسية الفردية). وعندئذ تتشكل روح جماعية عابرة ومؤقتة بدون شك، ولكنها تتمتع بخصائص محددة ومتبلورة تماماً... إنها تشكل عندئذ كينونة واحدة وتصبح خاضعة **لقانون الوحدة العقلية للجماهير**.

٥٤- يمكن لآلاف الأفراد المنفصلين عن بعضهم البعض أن يكتسبوا صفة الجمهور النفسي في لحظة ما وذلك تحت تأثير بعض الانفعالات العنيفة أو تحت تأثير حدث قومي عظيم مثلاً.... **وما إن يتشكل الجمهور النفسي حتى يكتسب خصائص عامة ومؤقتة**، ولكنها قابلة للفرز والتحديد وتنضاف إلى هذه الخصائص العامة خصائص خاصة متغيرة بحسب العناصر التي يتألف منها الجمهور، **والتي يمكنها أن تعدل من بنيته العقلية**.

٥٧- إن أفراد عرق ما يتشابهون خصوصاً بواسطة العناصر اللاواعية التي تشكل روح هذا العرق. وهم يختلفون عن بعضهم البعض بواسطة العناصر الواعية الناتجة عن التربية... والرجال الأكثر عظمة وتفوقاً لا يتجاوزون إلا نادراً مستوى الناس العاديين في كل ما يخص مسائل العاطفة من دين وسياسة وأخلاق وتعاطف وتباغض... إلخ

[كيف يسيطر اللاوعي] وهذه الصفات العامة للطبع التي يتحكم بها اللاوعي والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرق ما بنفس الدرجة تقريباً هي بالضبط تلك التي نجدها مستنفرة لدى الجماهير. فالكفاءات العقلية للبشر وبالتالي فرادتهم الذاتي تمحي وتذوب في الروح الجماعية. وهكذا يذوب المختلف في المؤتلف وتسيطر الصفات اللاواعية.

وهذا الاستنفار المشترك للصفات العادية هو الذي يفسر لنا **السبب في أن الجماهير لا تستطيع إنجاز الأعمال التي تتطلب ذكاء عالياً**. فالقرارات ذات المصلحة العامة التي تتخذها جمعية متميزة من البشر، ولكن من اختصاصات مختلفة ليست متفوقة كثيراً على القرارات التي يتخذها تجمع من البلهاء ذلك أنه يمكنهم أن يجمعوا هذه الصفات المتدنية التي يمتلكها الجميع. فالجماهير لا تجمع الذكاء في المحصلة وإنما التفاهة. **فليس المجتمع يمتلك ذكاء أكثر من فولتير كما يرددون غالباً. وإنما فولتير يمتلك ذكاء أكثر من المجموع إذا كان المجموع يعني الجماهير.**

٦٠- **مجموع الخصائص الأساسية للفرد المنخرط في الجمهور**: تلاشي الشخصية الواعية هيمنة الشخصية اللاواعية، توجه الجميع ضمن نفس الخط بواسطة التحريض والعدوى للعواطف والأفكار الميل لتحويل الأفكار المحرَّض عليها إلى فعل وممارسة مباشرة. وهكذا لا يعود الفرد هو نفسه، وإنما يصبح عبارة عن إنسان آلي ما عادت إرادته بقادرة على أن تقوده. هذا يعني أنه بمجرد أن ينضوي الفرد داخل صفوف الجمهور فإنه ينزل درجات عديدة في سلم الحضارة... على هذا النحو يمكننا أن نفهم كيف أن هيئات التحكيم الجماعية تصدر أحكاماً كان يمكن أن يدينها كل عضو مأخوذاً على حدة. **وهكذا نفهم كيف أن المجالس البرلمانية تتبنى القوانين والمراسيم التي كان سيخالفها كل عضو مأخوذا على حِدة... فالجمهور دائما أدنى مرتبة من الإنسان المفرد فيما يخص الناحية العقلية والفكرية.**

١-٢ الفصل الثاني: عواطف الجماهير وأخلاقيتها

٦٤- إن الجمهور، الذي يمثل لعبة واقعة تحت تأثير كل المحرضات الخارجية، يعكس متغيراتها التي لا تتوقف. وبالتالي فهو عبد للتحريضـــات التي يتلقاها... الفرد المعزول يمتلك الأهلية والكفاءة للسيطرة على ردود فعله، هذا في حين أن الجمهور لا يمتلكها.

إن الانفعالات التحريضية سوف تكون دائما قوية ومهيمنة على نفوس الجماهير إلى درجة أن غريزة حب البقاء نفسها تزول أمامها. (بمعنى أنها مستعدة للموت من أجلها).

الجماهير تستطيع أن تعيش كل أنواع العواطف وتنتقل من النقيض إلى النقيض بسرعة البرق وذلك تحت تأثير المحرض السائد في اللحظة التي تعيشها.

٦٥- **الجماهير عاجزة عن الإرادة الدائمة مثلما هي عاجزة عن التفكير المستقر.**

٦٥- **الجمهور لا يفكر فلا يعبأ بأي عقبة ... مفهوم المستحيل لا معنى له عند الفرد المنخرط في الجمهور.**

٦٦- وأياً تكن حيادية الجمهور، فإنه يجد نفسه في غالب الأحيان في حالة من الترقب المهيأة لتلقي أي اقتراح . وأول اقتراح يظهر يفرض نفسه مباشرة عن طريق العدوى والانتشار لدى كل الأذهان، ثم يحدد الاتجاه الذي ينبغي اتباعه حالاً . ولدى الأشخاص المستثارين تميل الفكرة الثابتة إلى أن تتحول إلى فعل.

وليس الجمهور بحاجة لأن يكون كثير العدد لكي تدمر إمكانيته على الرؤية بشكل صحيح، ولكي تحل الهلوسات محل الوقائع الحقيقية التي لا علاقة لها بها. فيكفي أن يجتمع بعض الأفراد لكي يشكلوا جمهوراً، وحتى لو كانوا علماء متميزين.

٧٠- شهادة الشاهد الأول الواقع ضحية الوهم تعدي بقية الشهود... ما نعرفه عن نفسية الجماهير يثبت لنا مدى حجم أوهامهم وأخطائهم. فالأحداث الأكثر شبهة هي تلك التي لاحظها أكبر عدد من الأشخاص.

٧٤- إن العواطف التي تعبر عنها الجماهير سواء أكانت طيبة أم شريرة تتميز بطابع مزدوج: بمعنى أنها مضخمة جداً ومبسطة جدا. فالفرد المنخرط في الجمهور ينظر للأمور ككتلة واحدة ولا يعرف التدرجات الانتقالية.

إن بساطة عواطف الجماهير وتضخيمها يحميها من عذاب الشكوك وعدم اليقين. فالجماهير، كالنساء، تذهب مباشرة نحو التطرف. فما إن يبدر خاطر ما حتى يتحول إلى يقين لا يقبل الشك.

وعنف عواطف الجماهير يزداد مبالغة وتضخيماً لدى الجماهير غير المتجانسة بسبب انعدام المسؤولية وتصبح الثقة بالنفس والاطمئنان بعدم المعاقبة أقوى كلما كان عدد الجمهور أكبر، لأن ذلك يشعره بزيادة سلطته. وهذا ما يجعل الجماهير المحتشدة قادرة على القيام بأعمال يعجز

عنها الفرد الواحد ففي الجمهور يتحرر الأبله والجاهل والحسود من الإحساس من دونيتهم وعدم كفاءتهم وعجزهم، ويصبحون مجيَّشين بقوة عنيفة وعابرة، ولكن هائلة... وهكذا يمكننا تفسير السبب في استسلام الجماهير لأبشع أنواع الممارسات وأكثرها تطرفا.

٧٥- وبما أنه لا يمكن تحريك الجماهير والتأثير عليها إلا بواسطة العواطف المتطرفة، فإن الخطيب الذي يريد جذبها ينبغي أن يستخدم الشعارات العنيفة. ينبغي عليه أن يبالغ في كلامه ويؤكد بشكل جازم ويكرر دون أن يحاول إثبات أي شيء عن طريق المحاجة العقلانية.

٧٦- وبما أن الجمهور لا يشك لحظة واحدة فيما يعتقده الحقيقة أو الخطأ، وبما أنه واع كل الوعي بحجم قوته فإن استبداده يبدو بحجم تعصبه . وإذا كان الفرد يقبل الاعتراض والمناقشة، فإن الجمهور لا يحتملهما أبداً.

٧٧- إن الاستبداد والتعصب يشكلان بالنسبة للجماهير عواطف واضحة جداً، وهي تحتملها بنفس السهولة التي تمارسها. فهي تحترم القوة (ولو لمستبد بها) ولا تميل إلى احترام الطيبة التي تعتبرها شكلا من أشكال الضعف... إن نمط البطل العزيز على قلب الجماهير هو ذلك الذي يتخذ هيئة القيصر. فخيلاؤه تجذبها، وهيبته تفرض نفسها عليها، وسيفه يرهبها.

وبما أن الجماهير مستعدة دائماً للتمرد على السلطة الضعيفة فإنها لا تحني رأسها بخنوع إلا للسلطة القوية. وإذا كانت هيبة السلطة متناوبة أو متقطعة فإن الجماهير تعود إلى طباعها المتطرفة وتنتقل من الفوضى إلى العبودية، ومن العبودية إلى الفوضى.

٧٨- ومن الصعب فهم تاريخ الثورات الشعبية إذا ما جهلنا غرائز الجماهير المحافظة جداً. صحيح أنها تريد تغيير أسماء مؤسساتها وتقوم أحياناً بثورات عنيفة من أجل تحقيق هذه المتغيرات. ولكن عمق هذه المؤسسات ومضمونها يبقى معبرا عن الحاجيات الوراثية للعرق وبالتالي فهي تعود إليه دائماً في نهاية المطاف. فحركيتها المستمرة لا تخص إلا الأشياء السطحية. في الواقع إنها تمتلك غرائز محافظة نهائية. وكجميع الناس البدائيين فإنها تشعر باحترام وثني تجاه التقاليد وبهلع لا واع تجاه البدع المستجدة القادرة على تعديل الظروف الحقيقية

٧٨-٨٠ **أخلاقيات الجماهير**: كما أن الجماهير صاحبة نزوات وغرائز شديدة الهيجان، تعبر عنها بقدرة فظيعة على الإجرام، ولكن بالمقابل الجماهير قادرة على أرفع أنواع الأخلاقية!!

ووحدها الجماهير الجماعية تكون قادرة على إنجاز الأعمال الكبرى والتفاني العظيم والنزاهة من أجل القضـــايا الكبرى، وأرذل أنواع الأوغاد يمكن أن يتحلوا بمبادئ أخلاقية صـــارمة بمجرد أن ينخرطوا في الجمهور.

١-٣ الفصل الثالث: أفكار، محاجات عقلية، مخيلة الجماهير

٨١- كل حضارة مشتقة من عدد صغير من الأفكار الأساسية التي نادراً ما تجددت أو تغيرت. ويمكننا أن نقسم هذه الأفكار إلى فئتين في الفئة الأولى نضع الأفكار الطارئة والآنية العابرة التي تتشكل تحت تأثير اللحظة. نضرب على ذلك مثلاً الانبهار بفرد ما أو بعقيدة ما. ونضع في الفئة الثانية الأفكار الأســاســية التي تقدم لها البيئة والوراثة والرأي العام اســتقراراً كبيراً. نذكر من بينها الأفكار الدينية سابقاً، والأفكار الديمقراطية والاجتماعية.

٨٢- وأياً تكن الأفكار التي تُوحَى للجماهير أو تحرض عليها، فإنه لا يمكنها أن تصـــبح مهيمنة إلا بشرط أن تتخذ هيئة بسيطة جداً وأن تتجسد في نفوسها على هيئة صور.

٨٣- ولما كانت الأفكار تستعصي على الجماهير إذا لم تتخذ هيئة بسيطة جداً فإنه ينبغي لكي تصـــبح شـــعبية أن تتعرض لتحويل كامل. وعندما يتعلق الأمر بأفكار فلســفية أو علمية عالية نســـبياً، فإننا نلاحظ مدى عمق التحويل اللازم لكي تنزل من طبقة إلى طبقة حتى تصـــل إلى مستوى الجماهير.

٨٤- ولكن حتى بعد أن تتعرض الفكرة لتحولات تجعلها في متناول أيدي الجماهير فإنها لا تفعل فعلها ولا تؤثر إلا بعد أن تدخل إلى اللاوعي وتصـــبح عاطفة متماســكة أو متينة مبلورة من قبل مجريات مختلفة... وهذا التحول يكون عادة طويلاً جداً.

صحيح أنه يمكن للحقيقة الساطعة أن تلقى أذنا صاغية لدى السامع المثقف، ولكنه سيعيدها فوراً بواسطة لا وعيه إلى تصوراته البدائية. حاولوا أن تروه بعد بضعة أيام فسوف ترونه يستخدم من جديد محاجاته القديمة وبنفس الألفاظ تماما.

٨٥- وإذا كان يلزم وقت طويل لكي تترســـخ الأفكار في نفوس الجماهير، فإنه يلزم وقت لا يقل عنه طولاً لكي تخرج منها.

٨٥- المحاجات العقلية للجماهير: المحاجات المتدنية للجماهير مرتكزة على الترابط والضـــم... ترابطات بين أشـــياء متنافرة ليس بينها إلا علاقات ســـطحية ظاهرية، كما أنهم يقومون بتعميم مباشـر لحالات فردية وخصـوصـية . وهاتان هما الخاصـيتان الأسـاسـيتان للمنطق الجماعي. والخطباء الذين يعرفون كيفية التلاعب بالجماهير يســـتخدمون مثل هذه الترابطات. فهي وحدها قادرة على تحريكهم والتأثير عليهم. وأما سلسلة المحاجات العقلانية الصـارمة فلا يمكن أن تفهم إطلاقاً من قبل الجماهير.

٨٦- لذلك فإن ضعف بعض الخطابات التي مارست تأثيراً ضخماً على السامعين تدهشنا أحياناً عندما نقرؤها، ولكننا ننسى أنها قد كتبت من أجل تعبئة الجماهير وليس من أجل أن تقرأ من قبل الفلاسفة.

٨٦- خيال -مخيِّلة- الجماهير: إن الخيال الخاص بالجماهير، كخيال كل الكائنات التي لا تفكر عقلانياً، مهيأ لأن يتعرض للتأثير العميق. فالصور التي تثيرها في نفوسهم شخصية ما أو حدث ما أو حادث ما لها نفس حيوية وقوة الأشياء الواقعية.

ولما كانت الجماهير عاجزة عن التفكير إلا بواسطة الصور فإنه لا يمكن جذبها والتأثير عليها إلا عن طريق الصـــور. ووحدها هذه الأخيرة ترعبها أو تجذبها وتصـــبح باعثاً على العمل والممارسة.

٨٨-٨٩ كيف يمكن التأثير على خيال الجماهير ونيل إعجابها؟ (هذا يعني معرفة فن حكمها)

التظاهرات والوســـائل الموجهة للتأثير على الفهم والعقل عاجزة عن تحقيق هذا الهدف... كل ما يؤثر على مخيلة الجماهير يقدم نفسه على هيئة صورة مؤثرة وصريحة مخلصة من كل تأويل ثانوي ، أو غير مصحوبة إلا من قبل بعض الوقائع العجيبة الساحرة : كالنصر الكبير، أو المعجزة الكبيرة، أو جريمة كبيرة، أو أمل كبير. ومن المهم هنا عرض الأشياء ككتلة واحدة وبدون تبيان منشـئها أو ولادتها. فمائة جريمة صـغيرة أو مائة حادث صـغير لا تؤثر أبداً على مخيلة الجماهير ولا تحركها. ولكن جريمة واحدة كبيرة أو كارثة واحدة كبيرة تؤثران عليها بعمق حتى ولو كانت نتائجهما أقل بكثير من النتائج القاتلة لمائة حادث مجتمعة.

نستنتج أنه ليست الوقائع بحد ذاتها هي التي تؤثر على المخيلة الشعبية، وإنما الطريقة التي تعرض بها هذه الوقائع. وينبغي على هذه الأحداث عن طريق التكثيف إذا جاز التعبير أن تولد صـورة مؤثرة وأخاذة تملأ الروح كالهوس. إن معرفة فن التأثير على مخيلة الجماهير تعني معرفة فن حكمها.

١-٤ الفصل الرابع: الأشكال الدينية التي تتخذها كل قناعات الجماهير

٩١- التعاطف مع شـــيء ما يتحول لدى الجماهير فورا إلى عبادة، والنفور يتحول مباشـــرة إلى حقد. وهذه الإشارات تتيح لنا أن نفهم طبيعة قناعاتها. (يشبه الإيمان الديني ولهذا سماها دينية).

ولهذه العاطفة خصـائص بسـيطة جداً : أولا عبادة إنسـان يعتبر خارقاً للعادة، الخوف من القوة التي تعزى إليه الخضوع الأعمى لأوامره، استحالة أي مناقشة لعقائده الرغبة في نشر هذه العقائد، الميل لاعتبار كل من يرفضون تبنيها بمثابة أعداء.

٩٢- إن عدم التســـامح والتعصـــب يشـــكلان المرافق الطبيعي للعاطفة الدينية... فالبطل الذي تصفق له الجماهير هو بالفعل إله بالنسبة لها ... هذه العواطف التي تجعل الإنسان يجد سعادته في العبادة وتدفعه (تلهمه) لأن يضحي بحياته من أجل معبوده.

٩٣- **العاطفة في صراعها الأبدي ضد العقل لم تكن مهزومة أبدًا.**

٩٤- حقيقة بدهية الجماهير بحاجة إلى دين، فالعقائد السياسية والسماوية والاجتماعية لا تترسخ لديها إلا بشرط أن تكتسي دائماً الحلة الدينية التي تضعها بمنأى عن المناقشة والأخذ والرد.

٢- الكتاب الثاني آراء الجماهير وعقائدها

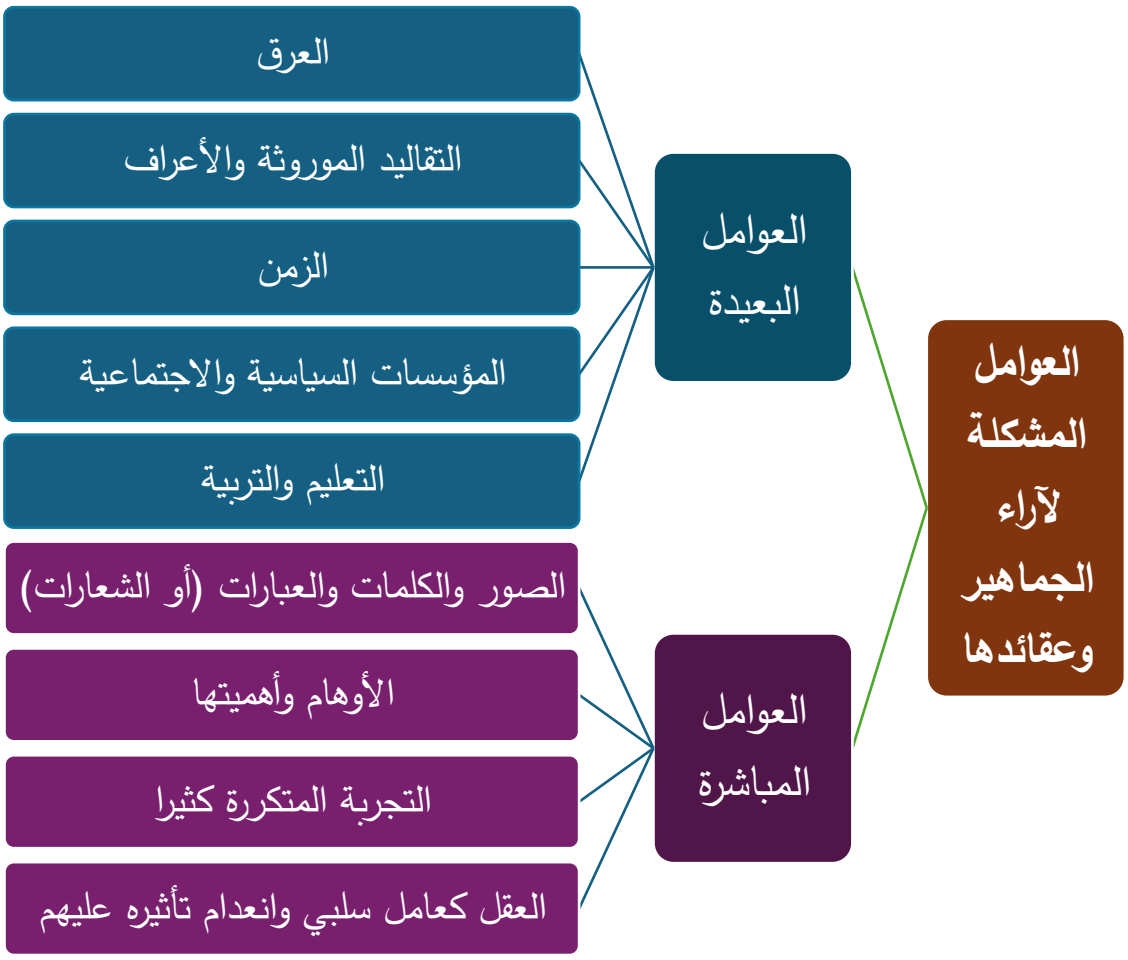

٢-١ الفصل الأول: العوامل البعيدة المشكلة لعقائد الجماهير وآرائها

١٠٠-١٠١ العديد من البلدان المختلفة تجسد في عقائدها وسلوكها اختلافات متمايزة وقوية جداً، ولا يمكن التأثير عليها بنفس الطريقة.

- التقاليد الموروثة: تمثل الأفكار والحاجيات والعواطف الخاصة بالماضي، وهي تمثل خلاصة العرق وتضغط بكل ثقلها علينا.

– الكثير من رجال السياسة لا يزالون عائشين على أفكار منظري القرن الماضي . فهم يتخيلون أنه يمكن لمجتمع ما أن يقطع مع ماضيه ويعيد تشكيل نفسه من جديد عن طريق اتخاذه الأنوار العقل قائداً ودليلا... ولكننا نرى أن الشعب لا يمكنه أن يتغير إلا بواسطة التراكمات الوراثية البطيئة... فالقادة الحقيقيون للشعوب هم تقاليدها الموروثة. لا يغيرون منها بسهولة إلا الأشكال الخارجية. وبدون تقاليد ثابتة لا يمكن أن توجد حضارة.

١٠٣– الزمن يراكم البقايا العديدة جدا للعقائد والأفكار، وعلى أساسها تولد أفكار عصر ما، وعند القلق من الكوارث الناتجة عن المطامح الخطرة للجماهير، فالزمن وحده كفيل بإعادة التوازن.

١٠٤–١٠٥ يلزم أحياناً عدة قرون من أجل تشكيل نظام سياسي معين، وعدة قرون أخرى من أجل تغييره فالمؤسسات ليس لها أية ميزة أزلية أو أبدية، وليست جيدة أو رديئة بحد ذاتها. فهي قد تكون جيدة في لحظة ما لشعب ما، وقد تصبح كريهة بالنسبة لشعب اخر.. وإذن فإن الشعب لا يمتلك أبداً أية قدرة حقيقية على تغيير مؤسساته . لا ريب في أنه يستطيع تعديل اسمها عن طريق إشعال الثورات العنيفة، ولكن المضمون لا يتغير

١٠٥– **مثال الدستور: هكذا نجد مثلاً أن إنكلترا، أكثر البلدان في العالم ديمقراطية، خاضعة** لنظام ملكي. هذا في حين أن الجمهوريات الإسبانية – الأمريكية المحكومة من قبل الدساتير الجمهورية تتعرض لأبشع أنواع الاستبداد. فطباع الشعب وليس الحكومات هي التي تحسم مصيرها. وإذن فإنها مهمة تافهة وتمريناً بلاغياً لا جدوى منه أن نضيع وقتنا في صناعة الدساتير أو تأليفها. فالضرورة والزمن كفيلان ببلورتها عندما نترك هذين العاملين يفعلان فعلهما.. دستور إنكلترا لم يعدل أو يغير إلا ببطء شديد وبشكل جزئي، وذلك تحت تأثير الحاجيات المباشرة وليس أبداً طبقاً للمحاكمات العقلية النظرية.... يقول المؤرخ ماكولاي: "ينبغي عدم الاهتمام أبداً بالتماثل أو بالتناسق أثناء صنع الدساتير، وإنما فقط بالفائدة والمنفعة. ولا تحاولوا أبداً أن تجددوا أو تبتكروا إلا إذا أحسستم بوجود انحراف أو انزعاج، وعندئذ ابتكروا فقط بالقدر الكافي لإزالة هذا الانحراف المزعج، لا تحاولوا أبداً تقديم قانون أو مقترح أكبر من الحالة الخاصة التي تعالجونها..."

١٠٧- التعليم لا يجعل الإنســـان لا أكثر أخلاقية ولا أكثر ســـعادة، وإنه لا يغير غرائزه وأهواءه الوراثية. وإذا ما طبق بشـــكل ســـيء فإنه يصـــبح ضـــاراً أكثر مما هو نافع ... ومن علماء الإحصـاء من أكد أنَّ الجريمة تتزايد أسـاسـاً لدى الشـبيبة التي حلت لديها المدرسـة المجانية محل سلطة رب العمل.

١٠٨- **خطورة المنظومة التعليمية** التي يكون فيها هم الطالب من الابتدائية إلى الدكتوراة أن يلتهم المزيد من الكتب دون أن يشـــغل عقله وفكره، فالتعليم يمثل له الحفظ والطاعة فقط!... الكتب عبارة عن قواميس مفيدة للاستشارة، ولكن ليس من الضروري أن نخزن في الرأس مقاطع مطولة منها.

١٠٩- **خطورة المنظومة التعليمية على الدولة التي تخرج آلاف الطلاب والوظائف لا تستوعبهم** أصلا، وهم أصبحوا نتيجة تعليمهم يتقززون من العمل في الحقول وغيرها من المهن، ويتزاحمون على الوظائف ولو كانت متواضـعة، ما يجعل عدد الناقمين كبيرا... **فاكتسـاب المعارف التي لا يمكن استخدامها هو الوسيلة المؤكدة لتحويل الإنسان إلى متمرد.**

١١٠-١١٤ المنظومة التعليمية السـائدة، والتي تؤجل مرحلة التدريب العملي، هي ضـد الطبيعة وضـد المجتمع تضـيع عمر وجهد الطلاب في شـبابهم، ونتيجتها أن تخرِّج الناقمين والفوضـويين وتهيئ لزمن الانحطاط.

٢-٢ الفصل الثاني: العوامل المباشرة التي تساهم في تشكيل آراء الجماهير

١١٦- إن قوة الكلمات مرتبطة بالصور التي تثيرها، وهي مستقلة تماماً عن معانيها الحقيقية. والكلمات التي يصعب تحديد معانيها بشكل دقيق هي التي تمتلك أحياناً أكبر قدرة على التأثير والفعل. نضرب على ذلك مثلا الكلمات التالية: ديمقراطية اشتراكية مساواة، حرية، إلخ فمعانيها من الغموض بحيث إننا نحتاج إلى مجلدات ضخمة لشرحها. ومع ذلك فإن حروفها تمتلك قوة سحرية بالفعل، كما لو أنها تحتوي على حل لكل المشاكل. فهي تجمع المطامح اللاواعية المتنوعة وتركبها، وتحتوي على الأمل بتحقيقها.

وبما أن الصور المثارة من قبل الكلمات مستقلة عن معانيها، فإنها تختلف من عصر إلى عصر، ومن شعب إلى شعب على الرغم من تماثل الصياغات التعبيرية ذاتها.

١١٩-١٢٠ وعندما تشعر الجماهير بنفور عميق من الصور التي تثيرها بعض الكلمات وذلك على أثر الانقلابات السياسية والمتغيرات التي أصابت العقائد، **فإن الواجب الأول لرجل الدولة الحقيقي هو تغيير هذه الكلمات دون أن يمس الأشياء ذاتها بالطبع**. فهذه الأخيرة مرتبطة جداً بالتكوين الوراثي ولا يمكن تغييرها أو تحويلها.... وإذن فإن إحدى المهام الأساسية لرجالات الدول هو أن يعمدوا بكلمات شعبية أو على الأقل حيادية الأشياء المحتقرة من قبل الجماهير تحت أسمائها القديمة. فقوة الكلمات وتأثيرها من الضخامة بحيث أنه بحسن اختيارها تجعل الجماهير تقبل حتى أبشع الأشياء... **مع ملاحظة أن نفس الكلمات تمتلك معاني مختلفة بالنسبة للطبقات الاجتماعية المختلفة.**

٢١٢- الأمل والوهم مهمان جدا لحياة البشر، وهناك الكثير من الأشياء تزرعهما، لم يستطع العلم أن يحل مكانها، لأنه لا يعرف الكذب بما فيه الكفاية.

- في هذه الفقرة تنبأ لوبون بانهيار وهم الاشتراكية مع أنها كانت في قمة صعودها عندما كتب كتابه.

الجماهير لم تكن في حياتها أبداً ظمأى للحقيقة وأمام الحقائق التي تزعجهم فإنهم يحولون أنظارهم باتجاه آخر، ويفضلون تأليه الخطأ، إذا ما جذبهم الخطأ . فمن يعرف إيهامهم يصبح سيدا لهم، ومن يحاول قشع الأوهام عن أعينهم يصبح ضحية لهم.

١٢٢- **التجربة:** تشـــكل التجربة تقريباً المنهجية الوحيدة الفعالة من أجل زرع حقيقة ما في روح الجماهير بشـــكل راســـخ، وتدمير الأوهام التي أصـــبحت خطرة أكثر مما ينبغي. ولكن ينبغي تعميمها على أوسع مستوى وبشكل مكرر ومعاد للوصول إلى أفضل النتائج.

١٢٣-١٢٦ **العقل كعامل سلبي لا كعامل إيجابي في التأثير على الجماهير.**

- إن الناس المنطقيين المعتادين على ســـلســـلة المحاجات العقلانية الصـــارمة نســـبياً لا يســتطيعون الامتناع عن اســتخدام هذا النمط من الإقناع عندما يتوجهون إلى الجماهير. وهم يصــابون بالدهشــة والاســتغراب دائماً لأن كلامهم لا يلقى أي صــدى لدى الجماهير... ولكن الجماهير ليســت قادرة على فهمها مثلها في ذلك مثل الكتلة غير المنظمة، وليســت قادرة على سماعها.

- لنترك إذن العقل للفلاسفة، ولكن ينبغي ألا نطلب منه ما لا يستطيع : أي أن يتدخل كثيراً في قيادة البشــر وحكمهم. وليس بالعقل، بل غالباً ضــده أبدعت عواطف كعاطفة الشــرف والتفاني والإيمان الديني وحب المجد والوطن. ومن المعروف أنها كانت حتى الآن تمثل أكبر البواعث التي تقف خلف تشييد الحضارات .

٢-٣ الفصل الثالث: محركو الجماهير ووسائل الإقناع التي يمتلكونها

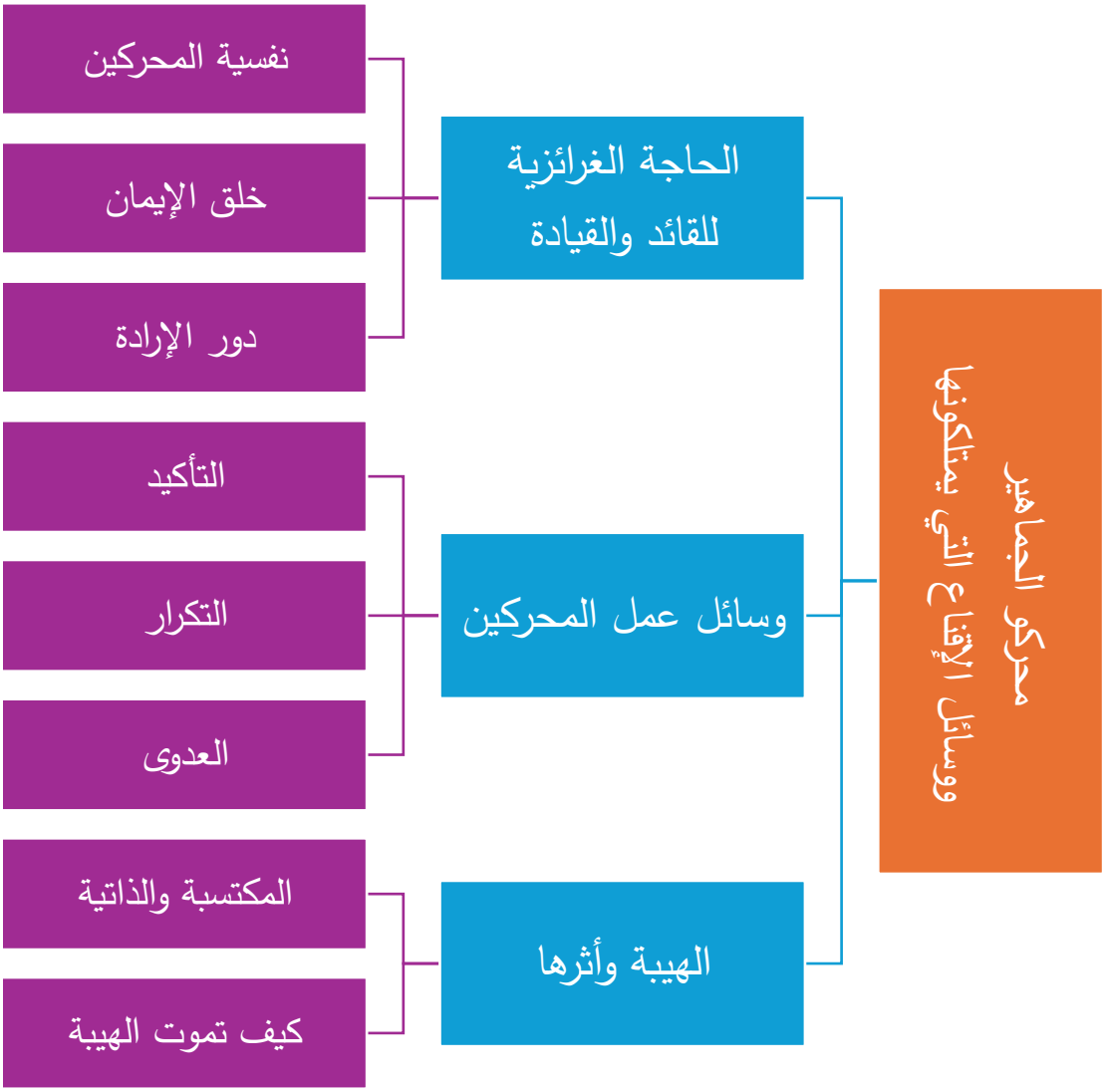

١٢٧-١٣٢ محركو الجماهير (مواصفات القادة الذين ينقاد لهم الجمهور):

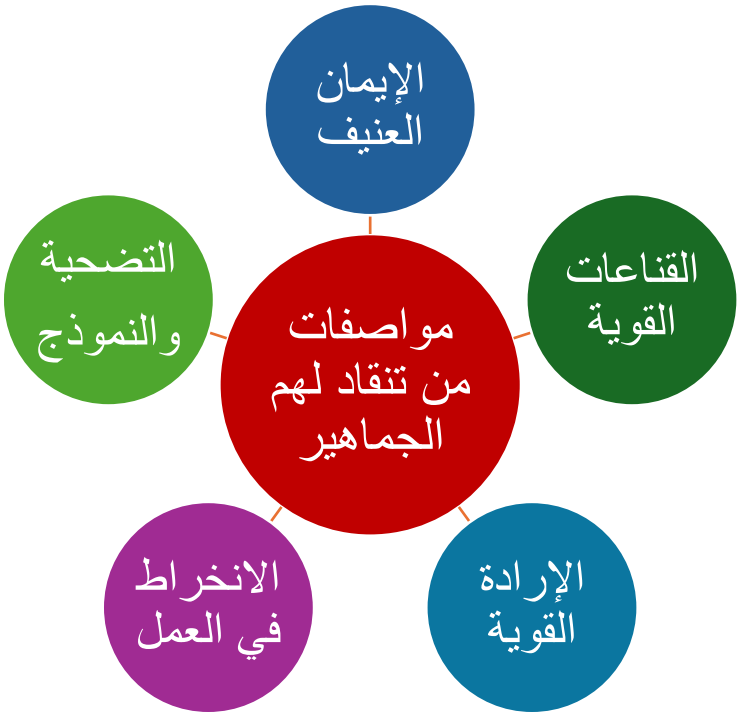

- ✓ والجمهور قطيع لا يستطيع الاستغناء عن سيد قائد.
- ✓ إرادة القائد النواة التي تتحلق حولها الآراء وتنصهر فيها، فالكثرة تصغي للإنسان المزود بإرادة قوية.
- ✓ الجمهور لا ينقاد لرجال الفكر والتنظير، بل لمن ينخرط في العمل. (بعيدو النظر يؤدي بهم الشك إلى عدم الانخراط في الممارسة والعمل).
- ✓ أهم صفات القائد الإيمان المطلق بفكرته، كل محاجة عقلانية تذوب وتتلاشى أمام قناعتهم الإيمانية والعاطفية... والاحتقار الذي يلقونه من الآخرين أو الاضطهاد لا يفعلان إلا أن يزيدا من إثارتهم وتهييجهم أكثر فأكثر.
- ✓ القادة: مستعدون للتضحية بمصالحهم الشخصية وبعائلاتهم وبكل شيء إذا لزم الأمر... حتى غريزة حب البقاء تمحى إلى درجة أن المكافأة الوحيدة التي يرجونها هي الشهادة.
- ✓ كثافة الإيمان تعطي لكلامهم قوة تحريضية كبيرة. فالكثرة تصغي دائماً للإنسان المزود بإرادة قوية. وبما أن الأفراد المتجمعين في الجمهور يفقدون كل إرادة فإنهم يتجهون غرائزيا نحو ذلك الشخص الذي يمتلكها.

- ✓ الفارق الرئيسي بين القادة هي القناعات القوية التي تصنع الرسل... والقادة الكبار هم من يستطيعون إلهام الإيمان بالفكرة لأن أثر سحرهم بها وإيمانهم بها ظاهر عليهم في كل نواحي حياتهم.
- ✓ إن دور القادة الكبار يكمن في بث الإيمان سواء أكان هذا الإيمان دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً. من بين كل القوى التي تمتلكها البشرية نجد أن الإيمان كان إحدى أهمها وأقواها، وأحداث التاريخ الكبرى أنجزها مؤمنون مجهولون آمنوا بفكرة وضحوا من أجلها.
- ✓ **القادة المحركون للجماهير نوعان: النوع الأول:** أصحاب إرادة قوية ولكنها آنية مؤقتة، يصنعون حدثا قويا ولكنه آني ولا يستطيعون الاستمرار بعدها دون شخ أكبر منهم يكون فوقهم يشير عليهم ويوجههم... **والنوع الثاني:** هم أصحاب الإرادة القوية المستمرة، وهي ملكة جبارة ونادرة، قد تكون أساليبهم أقل إشراقا من أولئك ولكنها تنجز الأحداث الضخمة التي تصنع التاريخ.

وسائل العمل التي يستخدمها المحركون أو القادة (التأكيد، التكرار، العدوى)

١٣٢- هذه الأساليب الثلاثة تأثيرها بطيء، ولكنه دائم.

١٣٢- **كلما كان التأكيد قاطعًا وخاليا من كل برهان كلما فرض نفسه بهيبة أكبر... ولكن بشرط تكراره باستمرار**، أكثر شكل جاد من أشكال البلاغة (التكرار) وبه تصل الفكرة إلى الرسوخ في النفوس لدرجة أنه يقبل كحقيقة برهانية!!

١٣٤- الأفكار والعواطف والانفعالات والعقائد الإيمانية تمتلك سلطة عدوى بنفس قوة وكثافة سلطة الجراثيم.. والتقليد الذي تعزى الظواهر الاجتماعية ليس إلا أثرا من آثار العدوى.

١٣٤- التقليد يشكل حاجةً للإنسان، بشرط أن يكون سهلا، ومن هذه الحاجة يتولد أثر الموضة.

١٣٥- **نستطيع قيادة الجماهير بواسطة النماذج والموديلات (التي تنتشر بالعدوى) وليس بواسطة المحاجات العقلانية**... ولكن لا ينبغي على هذه الشخصيات أن تنحرف كثيراً عن الأفكار الشائعة أو السائدة في عصرها. ذلك أن تقليدها عندئذ يصبح صعباً جداً، وتأثيرها معدوماً. **ولهذا السبب بالذات فإن الأشخاص المتفوقين جداً في عصرهم ليس لهم أي تأثير عليه، ذلك أن المسافة بينهم وبين معاصريهم ضخمة أكثر مما يجب.**

أثر الهيبة الشخصية:

١٣٦- **الهيبة: هي** عبارة عن نوع من الجاذبية التي يمارسها فرد ما على روحنا، أو يمارسها عمل أدبي ما أو عقيدة ما. وهذه الجاذبية الساحرة تشل كل ملكاتنا النقدية وتملأ روحنا بالدهشة والاحترام فلا نرى الأمور على حقيقتها ونفقد القدرة على المحاكمة والتقييم الحقيقي.. لذلك فهي عنصر أساسي للإقناع. والعواطف المثارة على هذا النحو لا يمكن تفسيرها ككل العواطف. الهيبة هي أساس كل هيمنة... الهيبة تشتمل على بعض العواطف كالإعجاب أو الخوف.

- ويمكننا أن نعيد الأنواع المختلفة من الهيبة إلى نوعين أساسيين:

- ١٣٦-١٣٧ الهيبة المكتسبة أو الاصطناعية: مثل اسم العائلة والثروة الموروثة أو الضابط والقاضي بزيه الرسمي الذي بدونه يفقد الكثير من هيبته...
- ١٣٨-١٤٣ والهيبة الذاتية أو الشخصية: وهي ملَكة وموهبة امتلكها المؤثرون العظام قبل أن يصبحوا مشهورين حتى، وهي تعطي صاحبها جاذبية هائلة وتأثيرا كبيرا... الهيبة لا ترتكز بالضرورة على عوامل النفوذ الشخصي أو المجد العسكري أو الإرهاب الديني... ولكن بالتأكيد النجاح أحد أهم هذه العوامل.

١٤٣- الهيبة عنصر أساسي للإقناع، والشخص الذي يمتلك الهيبة يُقلَّد بالعدوى (بشكل لا واع).

١٤٣- الهيبة تختفي: مع **الفشل** والبطل الذي صفقت له الجماهير، قد تحتقره غدا علنا إذا أدار الحظ له ظهره، فالمؤمنون يحطمون بنوع من الهيجان تماثيل آلهتهم السابقة.

١٤٤- كذلك الهيبة يمكن أن تتلف **بالمناقشة والمجادلة**، ولكن بطريقة أكثر بطئًا، فالهيبة التي تصبح عرضة للنقاش لا تعود هيبة، والأشخاص الذين عرفوا المحافظة على هيبتهم لم يسمحوا بالمناقشة، وتركوا دائما **مسافة** بينهم وبين الجماهير.

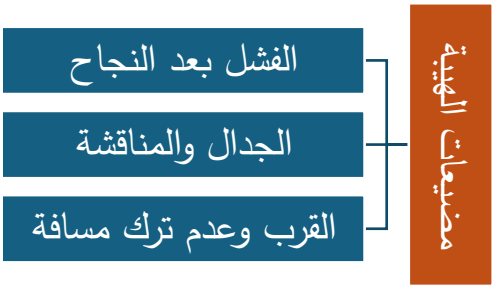

٢-٤ الفصل الرابع: محدودية تغيير عقائد الجماهير وآراءها

عقائد الجماهير وآراؤها تشكل طبقتين متمايزتين (العقائد الثابتة والآراء المتحركة)

١٤٥-١٤٩ العقائد الثابتة (العميقة)

- إيمانية كبرى، ثابته تدوم طويلا لقرون عديدة.
- تشكيلها صعب، ومتى تشكلت يصعب تغييرها.
- لا تغير إلا بعد ثورات عنيفة (والثورات التي تبتدئ تعني بالضرورة عقائد تحتضر)
- العقائد العامة هي الدعامات الضـــرورية للحضـــارات، وهي التي توجه الأفكار وتطبعها بطابعها، وهي التي تلهم الإيمان وتخلق الحس بالواجب.
- أيا يكن بطلانها الفلسفي فهي تفرض نفسها حتى على أكبر الشخصيات وأذكاها وتمنعهم من نقاشها.
- تدوم طويلا، فهي متأصلة راسخة في روح الجماهير.

١٤٩-١٥٤ العقائد المتحركة (السطحية)

- تولد وتموت باستمرار، ومدتها مؤقته جدا، وأكثرها أهمية لا تتجاوز جيلا واحدًا.
- دور الفيلسوف البحث عما بقي من عقائد قديمة تحت سطح المتغيرات الظاهرية.
- إن كل المتغيرات المضـــادة للعقائد العامة ولعواطف العرق لا تعيش طويلا، في حين أن التيار العام يستعيد مجراه من جديد.

وفي أيامنا هذه نلاحظ أن مجمل الآراء المتحركة للجماهير أكبر منه في أي وقت مضى. وذلك لأسباب مختلفة:

- السـبب الأول هو أن العقائد القديمة تفقد بالتدريج هيمنتها على النفوس وبالتالي فلا تعود تؤثر على الآراء المؤقتة لكي توجهها في اتجاه معين كما في السابق..
- وأما الســـبب الثاني فيعود إلى ظهور الصـــحافة مؤخراً ونشـــرها الأكثر الآراء اختلافاً وتناقضـــاً. فالإيحاءات التي يولدها كل رأي تدمر فوراً من قبل إيحاءات الرأي المضـــاد. وبالتالي فلا يستطيع أي رأي أن يعم وينتشر..

- وينتج عن هذه الأسباب المختلفة ظاهرة جديدة جداً في تاريخ العالم، وهي تميز عصرنا الحالي : أقصد بذلك **(عجز الحكومات عن قيادة الرأي العام)**... اليوم الكتاب قد فقدوا كل تأثير ولم تعد الصحف تفعل شيئاً إلا أن تعكس وجهات نظر الرأي العام.

وأما فيما يخص رجال السياسة فإنهم بدلاً من أن يقودوه لم يعودوا يفعلون إلا أتباعه. وخوفهم من الرأي العام يصل أحياناً إلى حد الرعب.. إن رأي الجماهير يميل إذن إلى أن يصبح أكثر فأكثر الموجه الأعلى للسياسة.

وأما فيما يخص الصحافة التي كانت توجه الرأي العام سابقاً فإنها قد اضطرت كالحكومات إلى الإمحاء أمام سلطة الجماهير. وأصبح شغلها الشاغل مراقبة الرأي العام!

وهذا الغياب الكامل لتوجيه الرأي العام ثم انحلال العقائد العامة في نفس الوقت أديا في نهاية المطاف إلى التفتيت الكامل لكل القناعات واليقينيات **ثم إلى شيوع اللامبالاة المتزايدة لدى الجماهير والأفراد في آن معاً**، وذلك في كل ما يخص مصالحها المباشرة.

١٥٤- ولكن ينبغي ألا ننسى أنه مع القوة الهائلة للجماهير الآن فإنه إذا ما استطاع رأي واحد أن يمتلك الهيبة الكافية لكي يفرض نفسه فإنه سوف يحظى فورا بقوة طغيانية هائلة إلى درجة أن كل شيء سوف يستسلم أمامها...

- وإذا كان هناك شيء ما يمكنه أن يؤخر من ساعة الانهيار فإن ذلك سيكون بالضبط الحركية الهائلة للآراء واللامبالاة المتزايدة للجماهير تجاه كل العقائد العامة.

٣-الكتاب الثالث تصنيف الفئات المختلفة من الجماهير ودراستها

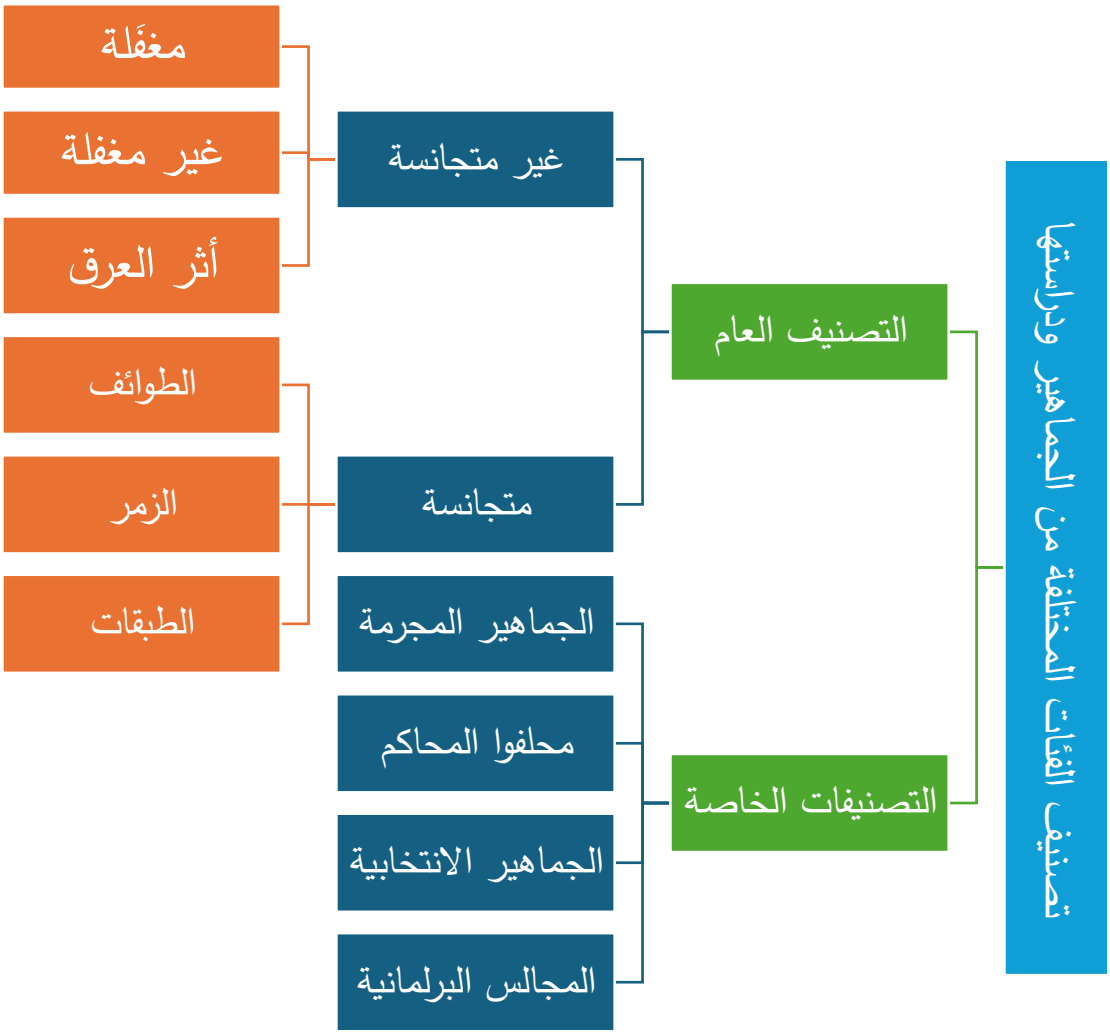

ملاحظـة: (مغفلـة) بتخفيف الفاء بمعنى غير معروفين بـالاســـم، وغير مغفلـة أي معروفون بأسمائهم.. انظر ص١٨٣.

٣-١ الفصل الأول: تصنيف الجماهير

١٥٨- **الجماهير غير المتجانسة:** العامل الأساسي لتقسيم مختلف أنواع الجماهير غير المتجانسة والتمييز بينها هو العرق وفيما عدا عامل العرق فإن التصنيف الوحيد المهم بالنسبة للجماهير غير المنسجمة هو الفصل بين الجماهير المُغفلة كجماهير الشارع، والجماهير غير المغفلة كالمجالس البرلمانية وهيئات المحلفين مثلا.

١٦٠ - **الجماهير المتجانسة: وتشمل : (الطوائف – الزمر – الطبقات).**

- **فالطائفة** وليس بينها من رابطة وحيدة إلا العقيدة والإيمان (الطوائف الدينية والسياسية)
- وأما **الزمرة** فتمثل أعلى درجات التنظيم التي يقدر عليها الجمهور، أفراد من نفس المهنة وبالتالي ذوي تربية وأوساط متماثلة تقريباً. (مثلاً الزمرة العسكرية والكهنوتية...)
- وأما **الطبقة** فتتشكل من أفراد ذوي أصول مختلفة وموحدين عن طريق بعض المصالح وبعض عادات الحياة والتربية المتشابهة.. مثلاً الطبقة البورجوازية، والطبقة الزراعية، إلخ

ولما كنت لم أدرس في هذا الكتاب إلا الجماهير المتجانسة فإني سوف أهتم فقط ببعض فئات تشكيلة الجماهير المختارة كأنماط محددة.

٣-٢ الفصل الثاني: الجماهير المدعوة بالمجرمة

١٦١- إن جرائم الجماهير ناتجة عموماً عن تحريض ضخم، والأفراد الذين ساهموا فيها يقتنعون فيما بعد بأنهم قد أطاعوا واجبهم.

١٦٢- الخصائص العامة للجماهير المدعوة بالمجرمة هي بالضبط نفس الخصائص التي لاحظناها لدى جميع أنواع الجماهير وهي: قابلية التحريض السذاجة أو سرعة التصديق، الحركية والخفة، المبالغة في العواطف سواء أكانت طيبة أم سيئة، تبدي بعض أشكال الأخلاقية، إلخ...

١٦٣- تحت تأثير الاقتراح التحريضي يندفعون وهم مقتنعون بأنهم ينجزون واجباً وطنيا. إنهم يقومون بوظيفة مزدوجة: فهم في آن معاً القضاة والجلادون ولا يعتبرون أنفسهم إطلاقاً كمجرمين... شكل غريب من العدالة الموهومة، إجرام ينفَّذ ويخيم على منفذيه نوع من الفرح اللطيف والجميل!! (قصة كمونة باريس ١٦٣-١٦٥)

٣-٣ الفصل الثالث: محلفو محكمة الجنايات

١٦٩- ككل أنواع الجماهير فإن المحلفين يتأثرون جداً بالعواطف وقليلاً جداً بالمحاكمات العقلية.

١٦٩- هيئات المحلفين مسحورة ككل الجماهير، بمظاهر الهيبة والحظوة الشخصية. (أرستقراطية في عاطفتها وميولها فاسم المحامي واسم عائلته يشكلان دعماً كبيراً للدفاع عن قضية المتهم...)

عن طريق الفطنة والتجربة المحامي يقرأ على وجوههم تأثير كل عبارة يقولها وكل كلمة، ويستخلص من ذلك النتائج . ويميز الأعضاء المؤيدين لقضيته عن غيرهم مسبقاً... وهذا يبين عدم جدوى الخطابات الجاهزة المحضرة سلفاً لأنه ينبغي تعديل الكلمات المستخدمة في كل لحظة بحسب ردود فعل السامعين.

والخطيب ليس بحاجة لإقناع كل أعضاء الهيئة المحلفة وإنما فقط القادة المحركين الذين يتحكمون بالرأي العام.... لم يكن يحول بصره عن اثنين أو ثلاثة محلفين كان يعرف أو يشعر بأنهم نافذون محاولا أن ينجح في إقناع المعاندين منهم.

١٧١- بعض الكتاب يريدون هيئة محلفين مؤلفة فقط من أعضاء ينتمون إلى الطبقات المستنيرة. ولكننا كنا قد برهنا سابقاً على أنه حتى في هذه الحالة فإن الأحكام الصادرة ستكون مماثلة للأحكام الصادرة حالياً.

١٧٢- لقد حارب كتاب كبار في الفترة الأخيرة وبشدة وجود هيئة المحلفين، هذا على الرغم من أنها تمثل الحماية الوحيدة ضد الأخطاء التي كثيراً ما ترتكبها زمرة لا رقابة عليها.

١٧٢- فهيئة المحلفين هي وحدها القادرة على التخفيف من قساوة القانون الذي بما أنه ينطبق بالتساوي على الجميع، فإنه لا يعترف بالحالة الخاصة أو الاستثنائية. فالقاضي غير حساس للشفقة ولا يعترف إلا بالنصوص..

- لنخش إذن جبروت الجماهير، ولكن لنخشى أكثر جبروت بعض الزمر وتحكمها فينا. فالبعض قد يمكن إقناعهم وأما الآخرون فلا يحيدون عن موقفهم أبداً.

٣-٤ الفصل الرابع: الجماهير الانتخابية

جماهير غير متجانسة لديها جميع مواصفات الجماهير التي ذكرناها.. ولكن سنبحث كيفية إغراء هذه الجماهير.

١٧٣-١٧٦ أول صفة ينبغي أن يمتلكها المرشح للانتخابات هي الهيبة الشخصية. فالهيبة الشخصية لا يمكن أن تعوّض بأي شيء آخر إلا بواسطة الثروة والغنى . ذلك أنه حتى الموهبة والعبقرية لا يمكنهما أن تكونا عنصر نجاح.

إذا كان الناخبون المشكلون أساساً من العمال والفلاحين نادراً ما يختارون شخصاً من بينهم لتمثيلهم في مجلس النواب، فذلك لأن الشخصيات الخارجة من أوساطهم ليس لها أي هيبة شخصية

صفة الهيبة لا تكفي فالناخب يرغب في أن يتملق المرشح رغباته وأطماعه وعجبه وغروره. وينبغي على المرشح أن يغمره بالتزلف والتملق كما وينبغي عليه ألا يتردد في توزيع أكبر الوعود عليه.

فيما يخص المرشح المضاد أو المنافس فإنه يحاول سحقه عن طريق تكريس الاتهامات بواسطة التأكيد والتكرار والعدوى، والقول بأنه أحط الأوغاد وأن الجميع يعرفون أنه قد ارتكب جرائم عديدة.

فإذا كان الخصم لا يعرف جيداً نفسية الجماهير فإنه سيحاول تبرير نفسه بواسطة محاجات عقلانية بدلاً من أن يرد بكل بساطة بتأكيدات مضادة ونمائم مضادة أيضاً

البرنامج المكتوب للمرشح لا ينبغي أن يكون دقيقاً جداً أو قطعياً جداً لأن خصومه يمكنهم أن يواجهوه به فيما بعد.

بالطبع يمكنه أن يعد ناخبيه بالإصلاحات الضخمة، دون أي خوف من ذلك. فهذه الوعود المبالغ فيها تولد آثاراً ضخمة على الناخبين في لحظتها، وهو ليس مضطراً للالتزام بها بعد نجاحه. فالناخب لا يهتم لاحقاً أبداً بمسألة التحقق فيما إذا كان المرشح قد التزم بتطبيق وعوده أم لا ، بل إنه ينسى ذلك تماماً!!

١٧٧- ينبغي ألا نتوهم أن مثل هذا النوع من المناقشات (المتدنية المستوى) هو حكر على طبقة معينة من الناخبين دون غيرهم، أو أنها ناتجة عن حالتهم الاجتماعية المتدنية. فالواقع أنه في كل التجمعات المغفلة نلاحظ أن المناقشات تتخذ نفس الطابع ونفس الأسلوب وتستخدم نفس العبارات والكلمات حتى ولو كان التجمع مؤلفاً من المثقفين والمتأدبين.

١٧٩- **مساوئ التصويت العام:** هي واضحة جداً إلى درجة أنه لا يمكن لأحد أن يجهلها. فلا أحد يستطيع أن يجحد أن الحضارات هي من صنع أقلية صغيرة متفوقة تشكل قمة الهرم الاجتماعي.... وعظمة حضارة ما لا يمكن أن تعتمد على تصويت العناصر الدنيا من الأمة، فهذه لا تمثل إلا الكثرة العددية...

ولكن هذه الاعتراضات التي لا غبار عليها من الناحية النظرية تفقد عملياً كل قوتها إذا ما تذكرنا القوة الجبارة التي لا تقهر للأفكار عندما تتحول إلى عقائد إيمانية. إن عقيدة السيادة الجماهيرية لا يمكن الدفاع عنها من الناحية الفلسفية مثلها في ذلك مثل العقائد الدينية في القرون الوسطى، ولكنها تسيطر اليوم كلياً. وبالتالي فمن المستحيل مهاجمتها اليوم كما كان مستحيلا مهاجمة الأفكار الدينية في الماضي البعيد.

ولا يمكننا مناقشة عقائد الجماهير كما لا يمكننا مناقشة الإعصار. إن عقيدة حق التصويت العام تمتلك اليوم نفس القوة الجبروتية التي كانت تمتلكها العقائد المسيحية سابقا.

١٨٠- لو حصرنا التصويت بنخبة معينة، ربما لن يحسن ذلك شيئا بسبب الدونية العقلية لكل التجمعات والجماهير بالقياس إلى الفرد الواحد، أياً تكن نوعية هذه الجماهير وتركيبتها. ففي الجمهور، ولأكرر ذلك مرة أخرى، يتساوى البشر كلهم دائماً.

١٨١- وسواء أكان التصويت العام محصوراً بفئة ضيقة أم عاماً يشمل الجميع، فإن تصويت الجماهير سوف يظل هو هو ويعبر غالباً عن آمال العرق وحاجياته اللاواعية... إن العرق ودوامة الحاجيات اليومية هما السيدان السريان اللذان يتحكمان بمصائرنا.

٣-٥ الفصل الخامس: المجالس النيابية

جماهير غير متجانسة، ولكن غير مُغفَلَة (أي معروفة الأسماء).

١٨٣- إن النظام البرلماني يلخص في الواقع المثال الأعلى لكل الشعوب المتحضرة الحديثة، إنه يجسد تلك الفكرة الخاطئة من الناحية النفسية، ولكن المقبولة بشكل عام وشامل. تقول هذه الفكرة بأن تجمع العدد الكبير من الناس يكون أكثر قدرة من العدد الصـــغير على اتخاذ قرار حكيم ومستقل بخصوص موضوع محدد.

- إن الجماهير البرلمانية شـديدة القابلية للتحريض والعدوى. وكما هي العادة دائماً فإن التحريض يصدر عن محركين أو قادة محاطين بهالة الهيبة الشخصية.

ولكن قابلية التحريض والعدوى تظل محدودة في المجالس النيابية، وذلك للأسباب التالية:

- فيما يخص كل المسائل ذات الأهمية المحلية نجد أن كل نائب يمتلك آراء ثابتة وراسخة لا يمكن لأي مناقشة عقلانية أن تزعزعها.
- وفيما يخص المســائل العامة كقلب وزارة أو فرض ضــريبة ما، إلخ ... نجد أن ثبوتية الرأي تختفي، ويمكن عندئذ للاقتراحات التحريضـــية للمحركين والقادة أن تفعل فعلها، ولكن ليس تماماً كما يحصل في جمهور عادي.

ولكل حزب محركوه وقادته الذين يمارسـون أحياناً نفوذاً متسـاوياً، الالتباس يغذيه الخوف المستمر من الناخب، والاقتراح التحريضي المضمر...

الخوف يتوصـــل دائماً إلى موازنة تأثير القادة المحركين وهؤلاء الأخيرون هم في نهاية المطاف السادة الحقيقيون للمناقشات التي لا يكون للنواب آراء مسبقة أو ثابتة تجاهها... نجدهم في كل البلدان تحت اسم رؤساء المجموعات النيابية.

١٨٦- **إن المجالس النيابية السياسية هي آخر محل في الأرض يمكن للعبقرية أن تشع فيه.** فلا أهمية فيه إلا للفصـاحة الخطابية المتناسـبة مع الزمان والمكان، وللخدمات المقدمة للأحزاب السياسية لا للوطن.

١٨٩- الفصاحة الخطابية هي أهم مقومات القائد المحرك في البرلمان، ويمكن للقائد المحرك أن يكون أحياناً ذكياً ومثقفاً. ولكن ذلك يضره عموما أكثر مما ينفعه. إن الذكاء إذ يبين تعقد الأشياء ويتيح تفسيرها وشرحها يجعل المرء أكثر تسامحاً ويُضعف بالتالي إلى حد بعيد من حدة القناعات وعنفها. وهذه القناعات ضرورية للرسل والمبشرين كما هو معروف.

١٩٠- **الاقتناع القوي وعدم التفكير بالعواقب، شرطين ضروريان لمن يريد أن يقتحم ويجهل العقبات، والجماهير تعرف هؤلاء القادة وترى فيهم السيد المطاع والرجل ذا التصميم العنيد الذي يلزمها.**

١٩٢- المجالس النيابية المستثارة بما فيه الكفاية والمنوَّمة مغناطيسيا تُبرز نفس الخصائص كبقية الجماهير.

١٩٣- لحسن الحظ لا تظهر هذه الخصاص باستمرار فيحافظ بعض الأعضاء على فردانيتهم، كمن يصوغون مقترحات القوانين، **والواقع أن القانون المصوت عليه هو من صنع فرد واحد لا مجلس نيابي بأكمله. وهذه القوانين هي الأفضل بالطبع. ولا تصبح مدمرة أو سيئة إلا إذا لحقتها سلسلة من التعديلات التعيسة التي تجعلها جماعية.**

وعلى الرغم من كل صعوبات تسييرها، فإن المجالس النيابية تمثل أفضل طريقة وجدتها الشعوب حتى الآن من أجل حكم ذاتها، ثم بشكل أخص من أجل التخلص إلى أبعد حد ممكن من نير الاستبداد والطغيان الشخصي.

ولا يهدد فكرة المجالس النيابية إلا خطران جديان هما

١. **التبذير الاجباري للميزانية:** وهو نتيجة إجبارية للاستجابة لمطالب الجماهير الانتخابية وعمى بصيرتها، ولو على حساب ميزانية الدولة وتوصيات خبراء الاقتصاد.
٢. **التقييد التدريجي على الحريات الفردية: نتيجة سن المزيد من القوانين،** التي تقع الشعوب ضحية وهم أن سن المزيد منها يزيد الحرية والمساواة وهي في الحقيقة تنقص الحرية الحقيقية.

١٩٦- زيادة القوانين، يعني زيادة عدد الموظفين المكلفين بتطبيقها، ما يعني زيادة سلطتهم ونفوذهم... تتغير الحكومات ولا يتغيرون، ويحظون باللامسؤولية والغفلة والديمومة، فيصبحون السادة الحقيقيين ومن بين كل أنواع الاستبداد فليس أكثر طغيانا مما يتحلى بهذه الصفات.

١٩٧- **[تنبؤ غوستاف لوبون بالانحطاط الكبير قبل أكثر من قرن ونصف]** إن التقليص التدريجي لكل الحريات لدى بعض الشعوب يبدو أنه ناتج عن شيخوختها بقدر ما هو ناتج عن النظام السياسي. نقول ذلك على الرغم من مظاهر التحلل والإباحية التي قد توهم هذه الشعوب بامتلاك الحرية. وهذا التقليص يشكل أحد الأعراض المنذرة بمجيء مرحلة الانحطاط التي لم تستطع أي حضارة في العالم أن تنجو منها حتى الآن.

١٩٧-١٩٩ ثم ختم كتابه بثلاث صفحات تحدث فيها عن منشأ عظمة وانحطاط الحضارات التي سبقت الحضارة الغربية، متحدثا عما أسماه دورة الحياة الخاصة بشعب (البربرية – الحضارة – الانحطاط).

ملحق (١)

فهرس لبعض الأفكار المهمة التي وردت في الكتاب

(الى اليمين رقم الصفحة)

١ – ١٣ مقدمة هاشم صالح، عرف فيها علم النفس الاجتماعي، وميزه عن علم النفس الجماعي، وتحدث عن أبرز من كتبوا في ذلك، والعلاقة بين كتاباتهم المختلفة.

١٣ ثم شرع بالتعريف بمؤسس علم نفسية (سيكولوجية) الجماهير، وهو مؤلف الكتاب الذي بين يدينا "غوستاف لوبون".

٢٣ سبب اهمال تراث لوبون من علماء الاجتماع المعاصرين له.

٢٦ المسألة العنصرية في القرن التاسع عشر، ومفهوم العرق التاريخي.

٢٧ تعريف العرق التاريخي.

٢٨ الجماهير كظاهرة.

٣٢ المبادئ المبنية على تعريفات لوبون، (اللاعقلانية في الدعاية هي المؤثرة).

٦٠ مجموع الخصائص الأساسية للفرد المنخرط في الجمهور.

٦٧ كيف تخلق الأساطير والحكايات وتنتشر.

٧٢ شهادات الأطفال في المحاكم.

٧٥ العواطف المتطرفة هي وسيلة التأثير في الجماهير.

٧٧ مواصفات القائد الي تحترمه الجماهير.

٨١ كل حضارة جذرها قائم على عدد صغير من الأفكار الرئيسية التي نادرا ما تتغير

٨٥ الخصائص الأساسية لمنطق الجماهير وكيف يتلاعب الخطباء بهم.

٨٩ كيف تؤثر على الجماهير.

٩١ ملخص بنصف صفحة لما قبله.

١٠٥ الدستور وفائدة مهمة لصياغة الدساتير على المقاس (لا أكبر ولا أصغر).

١٠٨ المنظومة التعليمية وخطورة أثرها.

١٢٤ عندما تخاطب الجماهير بعقلانية!!

١٢٧ لماذا لا ينجح رجال الفكر في قيادة الجماهير (الحاجة لقائد غير المنظِّر).

١٢٨ الإيمان، أهميته وأثره.

١٣٠ تصنيف محركي الجماهير.

١٣٥ لماذا لا يُقلد الناس المتفوقين في عصرهم.

١٤٤ حتى لا تضيع الهيبة.

١٤٩ لماذا ستفشل الاشتراكية كدين (تنبأ قبل ١٠٠ عام).

١٧٤ الانتخابات وكيف تصوغ وعودك الانتخابية، وكيف ترد على منافسيك.

١٧٩ الحضارات تصنعها النخبة.

١٨٠ في الجمهور يتساوى الدكتور والتركتور...

١٨٩ عندما يضر الذكاء ولا ينفع.

١٩٦ طغيان الموظفين، سن مزيد من القوانين يقيد الحريات لا يضمنها.

١٩٨ كيف تولد الحضارة ومتى تشيخ.

ملحق (٢)

تفسير الكلمات التي قد تصعب على غير المختصين
في كتاب سيكولوجية الجماهير ومقدمة مترجِمه

ص٧ س١٥ : **الروائز:** جمعُ (رائِز) اســم فاعل مِنْ رازَ. وهو مِعْيَارٌ، وَسِــيلَةٌ اخْتِبَارِيَّةُ في عِلْمِ النَّفْسِ والتَّرْبِيَةِ، يُمَيَّزُ بِهَا بَيْنَ أَفْرادِ جَمَاعَةٍ مَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مِقْيَاسٍ مُعَيَّنٍ يُعَيِّنُ الذَّكَاءَ أَوِ الْمُلاحَظَةَ أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْمَلَكاتِ.

ص٧ س٢٠ : **علم الإناسة:** عرّف معهد الأنثروبولوجيا الملكي الأنثروبولوجيا (علم الأناسة) بأنه العلم الذي «يدرس البشــر في جميع أنحاء العالم، وتاريخهم التطوري، وســلوكهم، وكيفية تكيفهم مع البيئات المختلفة وتواصــلهم واختلاطهم معا». علم الإنســان أو الأنثروبولوجيا (بالإنجليزية: Anthropology) من أصل يوناني حيث "Anthropos" تعني إنسانًا، و"Logos" تعني علمًا. فيكون هذا العلم مختصًّا بدراسة الإنسان.

يتفرع علم الإنسان إلى كل من علم الإنسان الاجتماعي الذي يدرس تصرفات البشر المعاصرين وعلم الإنســان الثقافي الذي يدرس بناء الثقافات البشــرية وأداءها وظائفها في كل زمان ومكان. وعلم الأنثروبولوجيا اللغوية الذي يدرس تأثير اللغة على الحياة الاجتماعية. وعلم الإنسان الحيوي الذي يدرس تطور الإنســان بيولوجيًّا. أما علم الآثار الذي يدرس ثقافات البشــر القديمة بالتحقيق في الأدلة المادية، فيعد فرعًا من علم الإنســان في الولايات المتحدة بينما يُنظر إليه في أوروبا على أنه علم منفصل بذاته، أو أنه أقرب إلى التاريخ منه إلى الأنثروبولوجيا.

ص٧ س٢٠ : **الإتونولوجيا:** الاثنولوچيا (انجليزى: Ethnology) علم الأعراق فرع من فروع الانثروپولوچيا، بصفة عامة، تعرف بإنها علم دراسة الانسان ككائن ثقافي وبأنها الدراسة المقارنة للثقافة... يبحث في أصول الشعوب المختلفة وخصائصها وتوزّعها وعلاقاتها بعضها ببعض، ويدرس ثقافاتها دراسةً تحليلية مقارنة أيضاً.

ص٧ س٢٤ : **الآنغلوسكسوني:** الآنجلوسكسوني الأنجلوســكســونيون (بالإنجليزية: Anglo Saxons) هم مجموعــة ثقــافيــة ســكنــت إنجلترا منــذ القرن الخــامس. وكــانوا يتــألفون

من القبائل الجرمانية التي هاجرت إلى جزيرة بريطانيا العظمى من أوروبا القارية، ونسلهم، والمجموعات البريطانية الأصلية التي تبنت العديد من جوانب الثقافة واللغة الأنجلوسكسونيَّة.
أسس الأنجلوسكسون مملكة إنجلترا، وتدين اللغة الإنجليزية الحديثة للغتهم بما يقرب من نصف كلماتها، بما في ذلك الكلمات الأكثر شيوعًا في الكلام اليومي.

ص٧ س٢٤ : **العالم الأنجلوسكسوني:** البلدان التي تشترك في الثقافة الأنجلو ساكسونية هي: إنجلترا واسكتلندا وأيرلندا الشمالية وويلز (المملكة المتحدة) وأستراليا ونيوزيلندا.... البلدان والتبعيات التي تتكون منها الأنجلو ساكسونية الأمريكية التي تكون اللغة الرسمية أو السائدة هي الإنجليزية هي التالية: الولايات المتحدة (باستثناء هاواي)، كندا (باستثناء كيبيك)، دومينيكا، غيانا، جامايكا، رينداد وتوباغو.... وغيرها

ص١٦ س٩ : **كومونة باريس:** كومونة باريس أو الثورة الفرنسية الرابعة (باللغة الفرنسية: La Commune de Paris، نقحرة: لا كومون دو باري) هي حكومة بلدية ثورية أدارت باريس، فرنسا لفترة قصيرة ابتداءً من منتصف مارس ١٨٧١. قامت الثورة في باريس وبعدها الكومونة كنتيجة لخسارة نابليون الثالث الحرب مع بروسيا ودخول الجيش البروسي المذل إلى باريس بعد حصارها. انتخب تسعون ممثلا في الكومونة أو مجلس مدينة باريس (بالفرنسية: "commune") باقتراع عمومي وأعلنت حكمها على كامل فرنسا. كان نزاعها حول السلطة مع الحكومة المنتخبة لفرنسا سبباً رئيسياً في القمع الوحشي لها من طرف القوات الفرنسية النظامية فيما سمي بعد ذلك «بالأسبوع الدموي» ("La Semaine sanglante") في ٢٨ مايو ١٨٧١. صاحبت النقاشات حول سياسات ومآلات الكومونة تداعيات سياسية مهمة في داخل وخارج فرنسا خلال القرن العشرين حيث اعتبرت أول ثورة اشتراكية في العصر الحديث.

ص٢٢ س١٣ : **السيسولوجية:** عِلْمٌ يَدرُسُ المُجتَمعاتِ الإنسانِيَّةَ والمَجموعاتِ البَشَرِيَّةَ، وَظَواهِرَها الاجتِماعِيَّة.

ص٢٤ س٨ : **أبستومولوجي:** اسم منسوب إلى إبستمولوجيا، epistemology مصطلح ذو أصل إغريقي مؤلف من كلمتين:epistemo وتعني المعرفة و logos وتعني علم. ويعني المصطلح حرفياً علم المعرفة أو علم العلم... فرع من فروع الفلسفة يهتمّ بنظريّة المعرفة.

ص٦٩ س٢٥ : **ألواح أردواز:** الأردواز أو حجر سجيل (بالإنجليزية: Slate) هو صخر صفائحي، أو حبيبات من الصخر المرقق، وهو نوع من الصخور المتحولة، تكونت من الطين، أو من الرماد البركاني، عبر ملايين السنين. والنتيجة هي صخور مرققة كأوراق الشجر. في كثير من الأحيان رمادي اللون... في المناطق الأوروبية التي يكثر فيها يستخدم كألواح منتظمة لتغطية أسقف المنازل... وكانوا يكتبون عليه فيما مضى، (استخدمه المشعوذون لهذا).

ص٧٧ س٦ : **اليعاقبة:** حركة اليعاقبة (Jacobitism) نسبة إلى جيمس (بالعربية: يعقوب) كانت حركة سياسية في بريطانيا العظمى وأيرلندا تهدف إلى إرجاع الملك الكاثوليكي المخلوع جيمس الثاني من أسرة ستيوارت وورثته إلى عرش إنجلترا واسكتلندا وأيرلندا. (تم خلع جيمس الثاني وتنصيب ابنته البروتستانتية ماري الثانية، التي حكمت مع زوجها ويليام الثالث، وعاشت أسرة ستيوارت في المنفى) تمرد أتباع جيمس ضد الحكومة البريطانية في عدة مناسبات بين ١٦٨٨ و١٧٤٦.

ظهرت أيديولوجية اليعقابة مرتبطة بجيمس السادس والأول، أول ملك على إنجلترا، واسكتلندا، وأيرلندا في العام ١٦٠٣. انطلقت الحركة من أساس الحق الإلهي، والذي بمقتضاه يكون منصب الملك وسلطته من مصدر إلهيّ، وأن واجب الرعاية هو تقديم الطاعة. نظرًا لطبيعة الحكم الشخصي للملك انتفت الحاجة إلى البرلمانات، وتطلّب وجود اتحاد سياسي وديني، وهذه مفاهيم لم تكن تحظى بشعبية واسعة في الممالك الثلاث المذكورة.

علاوة على ما تقدّم، فقد تعارض «الحق الإلهي» مع الولاء الكاثوليكي الواجب تقديمه للبابا ومع البروتستانت، إذ دافع الطرفان عن وجود سلطة فوق الملك.

ص١٠٨ س١٠ : **شهادة التَبريز:** التبريز أعلى شهادة جامعية للتدريس في التعليم الثانوي أو العالي وهي في الأهمية تأتي مباشرة بعد الدكتوراة، (في النظام الفرنسي والدول التي تبعه)

ص١٤٢ س١١ : **قصة شق قناة بنما:** وهي ممر مائي يعبر برزخ بنما، ويصل ما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ. وتُعد هذه القناة من أعظم الإنجازات الهندسية في العالم. عملت القناة بعد الانتهاء من شقها عام ١٩١٤م بدأت أول محاولة لبناء القناة في عام ١٨٨٠ تحت القيادة الفرنسية، ولكن تم التخلي عن بنائها عام ١٨٨٣ بعد أن توفي ٢١٩٠٠ من عمال بنائها وذلك بسبب تفشّي الأمراض (وخاصة الملاريا والحمى الصفراء) والانهيارات الأرضية،

بعدها بدأت الولايات المتحدة جهداً حثيثاً في بنائها بعد الفشـــل الفرنســـي الذريع ولكن الثمن كان كبيرا فقد تسبب البناء في وفاة ما يزيد عن ٥٦٠٠ عامل ولكنه أدى في نهاية المطاف في افتتاح القناة في عام ١٩١٤. وسيطرت الولايات المتحدة على القناة والمنطقة المحيطة بها.

ص١٤٦ س٤ : **الحركة الرومنطقية:** الرومنطيقية أو الرومانســـية أو المذهب الرومنســـي، بالإنجليزية (Romanticism)، وتعبر عنها الحركة الرومانســية أو الرومنطيقية في الأدب والفن والتي نشــأت في نهاية القرن الثامن عشــر وكانت ذروتها في عام ١٨٥٠ وتميزت بتركيزها على العاطفة والفردية والاحتفال بالطبيعة والرجل العادي كبطل جديد للقصــائد والقصــص، وتركز على مثالية المرأة، كما احتضنت الرومانسية الجديدة العزلة والكآبة في التعبير عن المشاعر.

ص١٤٧ س٨ : **البــرابــرة:** برابرة أو بربري (بالإنجليزية: barbarian) إنسان ينظر إليه على أنه غير متحضر أو بدائي... وقد حدث تغيير في دلالات الكلمة بعد الحروب اليونانية–الفارسية في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد. هنا هزم ائتلاف متسرع من اليونانيين الإمبراطورية الفارســية الشــاســعة. في الواقع، في اليونانية من هذه الفترة «البرابرة» غالبا ما تســتخدم صــراحة للإشــارة إلى الفرس، الذين كانوا أعداء اليونانيين في هذه الحرب... اســتخدم الرومان مصــطلح باربـاروس للشعب غير المتحضر، مقابل اليونانية أو الرومانية.

ص١٨٤ س٩: **دوغمائيين و دوغمائية:** دوغمائيون أي منســـوبون إلى الدوغمائية دلالة على التأييد الأعمى لمبادئ أو مطالب مذهب أخلاقي ما...

والدوغمائية (أو الدوغماتية) أو الجزمية يعود أصـــلها إلى الكلمة إلى اليونانية δόγμα والتي تعني «الرأي» أو «المعتقد الأوحد». وهي حالة من الجمود الفكري، حيث يتعصب فيها الشخص لأفكارهِ الخاصــة لدرجة رفضــهِ الاطلاع على الأفكار المخالفة، وإن ظهرت لهُ الدلائل التي تثبت لهُ أن أفكارهُ خاطئة، سيحاربها بكل ما أوتي من قوة، ويصارع من أجل إثبات صحة أفكارهِ وآرائهِ، وتعتبر حالة شديدة من التعصب للأفكار والمبادئ والقناعات، لدرجة معاداة كل ما يختلف عنها. كموضوع غير مفتوح للنقاش أو للشك.